الغربلة لم تحدث!

ولفتت ناعوت إلى عدم صوابية وصف المشهد الثقافي العربي الراهن بـ "الهشاشة"؛ لأنه "شأنه شأن جميع المشاهد الثقافية عبر الزمان والمكان، أي في جميع العصور وجميع البلدان، يحمل قماشة واسعة من التنوع والتعدد، قليلُه جميل وكثيره شاحب. وهذا كان في كل وقت، حتى في أزهى عصورنا الثقافية التي نفخرُ بها، وسوف يظلُّ في مقبل العصور. فحين نتأمل فرادة يوسف إدريس، ونجيب محفوظ، وتوفيق الحكيم وغيرهم من أيقونات الإبداع الأدبي الرفيع، لا يمكن أن نغفل أن عشرات، بل مئات الكتّاب متوسطي القامة والقيمة، كانوا يجاورون أولئك الكبار، لكننا لم نسمع بهم، لأنّ سطوع القامات المشرقة حجب مَن يليق به الانزواء".

وتابعت: "ولا يمكن أن نحكم الآن على عصرنا الراهن بالهشاشة؛ لأن الغربلة لم تحدث بعد، ولن تحدث إلا بعد مرور عقود".

وفي السياق، أكدت ناعوت "غياب التأثير الثقافي، وذلك ليس بسبب هشاشة وضعف المشهد الثقافي، بقدر ما هو بسبب تعدُّد وكثرة المنصات الجاذبة لعيون المتابعين، أو ما يمكن أن نطلق عليه التعدد المنبري الذي جاء في غير مصلحة الكتاب، والكُتّاب على حد سواء. فلم يعُد الكتاب هو الصديق والصنو الذي لا يفارق صاحبه، مثلما كان لنا في شبابنا، بل غدا الموبايل هو الرفيق الملاصق للإنسان، بكل ما يحمل من منصات تشويش معرفي، كما تعلم".

ندوب وارتدادات

ووافقت ناعوت على أن انتكاسة "المركزيات" الثقافية العربية، خلّفت "ندوبا ثقافية وارتدادات فكرية أصابت المجتمع العربي بكامله مع نهاية السبعينيات الماضية، حتى لكأنما موجة من الإعتام قد ضربت العقل العربي".

وأرجعت ما حدث الى "تغليب الثقافة الشكلانية التي أرهقت الجوهر، حيث غزا طوفان المظهرية كل أمور حياتنا وعلى جميع الصُّعد المجتمعية والدينية، لا على الصعيد الثقافي وحسب".

وحين سألتها: من يتحمل مسؤولية كل هذه الارتدادات الثقافية والفكرية وغلبة الثقافة الشكلانية في واقعنا العربي، فضلا عن عن مسؤولية استعادة تجليات أدوار الثقافة التي أنتجها زمن "المركزيات"؟ اختصرت ناعوت إجابتها قائلة: "المركزية تخلخلت، وهذا أمرٌ لا أراه معيبًا، فالإبداع منتجٌ فردي لا يحدُّه مكانٌ أو زمان، وأرجو أن تتحول المركزية من المكان إلى المضمون".

لكنّ هناك ما تأمله ناعوت في سياق الممكنات التي يجب على جميع أطراف المسؤولية الثقافية استثمارها لاستعادة ريادية الدور الثقافي عربيا، خصوصا بلدان "مركزيات الثقافة العربية"، وتأتي في مقدمتها مصر، وهو أن "تُعلي القيادات السياسية من شأن الأديب والكاتب والمفكر، وأن تجهد في وضعه بالمكان والمكانة اللتين تليقان به، وأن تمكّنه من الحياة بكرامة يستحقها، وألّا تدعه لقمة سائغة في أفواه المتنطعين يلاحقونه بالملاحقات القضائية، لئلا يعبّر عن رأيه الفكري والثقافي، وأن نتعلّم فن المحاججة المنطقية، قولا بقول، وفكرةً بفكرة، ورأيًا برأي، بعيدًا عن ساحات المحاكم والتكفير والاغتيال المعنوي والأدبي".

حقنة إنعاش

عند هذا الحد، انتقدت ناعوت المؤسسات الثقافية وقيادات السياسة في مصر، وذلك "لتقصيرها في دعم المفكر والفيلسوف والأديب ونشر إبداعه بين الجموع".

وقالت إن "مؤسسات وقيادات الثقافة والسياسة لم تقم بدورها الذي ينبغي لها في تكريس الدور الثقافي والفكري والأدبي المحوري الذي أدّته مصر في المنطقة العربية منذ الخمسينيات الماضية، بل قام بهذا الدور فرادةُ المنتج الفكري والأدبي ذاته".

وأضافت: "الواقع الثقافي المصري الراهن يحتاج إلى حقنة إنعاش ينبغي أن تقوم بها المؤسسات الثقافية والقيادة السياسية لتقويم الوعي العام وتعريفه بأهمية وحتمية الأديب والمفكر والمبدع من أجل تزكية وتقوية القوى الناعمة التي هي أساس نهضة الشعوب".

• واقع الثقافة العربية لا يعاني الهشاشة لكنّه يفتقر إلى التأثير

• النهوض الثقافي يتطلب إعلاء مكانة المثقف والتوقف عن مساومته بالجوع والملاحقات والمحاكم

• «مركزية الثقافة» في مصر أنتجتها فرادة المنتوج الأدبي والفكري... لا السياسة